عظة البروفسور سليم دكّاش اليسوعيّ، رئيس جامعة القدّيس يوسف، في قدّاس أقيم لراحة نفس البروفسور منير شمعون، في كنيسة القدّيس يوسف، في ١٦ حزيران (يونيو) ٢٠١٦، في الرابعة والنصف من بعد الظهر.

"فلمّا رأى (يسوع) الجموع، صعد إلى الجبل وجلس، فدنا إليه تلاميذه فشرع يعلّمهم قال :

طوبى لفقراء الروح فإنّ لهم ملكوت السماوات.

طوبى للودعاء فإنّهم يرثون الأرض.

طوبى للمحزونينن فإنّهم يُعزَّون.

طوبى للجياع والعطاش إلى البرّ فإنّهم يشبعون.

طوبى للرحماء، فإنّهم يُرحَمون.

طوبى لأطهار القلوب، فإنّهم يشاهدون الله.

طوبى للساعين إلى السلام، فإنّهم أبناء الله يُدعَون.

طوبى للمضطهدين على البِرّ، فإنّ لهم ملكوت السماوات.

طوبى لكم، إذا شتموكم واضطهدوكم وافتروا عليكم كلّ كذب من أجلي،

افرحوا وابتهجوا : إنّ أجركم في السماوات عظيم" (متّى ٥، ١-١٢).

إنّها للحظاتٌ جدّ رمزيّة، كما اللّحظات التي نعيشها هذا اليوم، تُعطينا إيّاها الكنيسة لنُصغي إلى الطوباويّات التي تتوجّه إلينا بكلمة : "طوبى". في هذه الآيات، الله حريصٌ على سعادتنا وعلى ضرورة أن نتحرّر لنجد الفرح الحقيقيّ. أودّ أن أقول إنّ هناك طاقة تنبعث من آيات الطوباويّات هذه، كمعنى خفيّ يجب تفكيك رموزه

وتفسيره، معنى يتخطّى مشاكلنا وتراجعاتنا وكبتنا أو هو كامنٌ في صميم مشاكلنا. كاللازمة المتناسقة التي ترنّ على مسامعنا، نسمع تلك الرغبة العميقة ونداء الله هذا المحفور في قلب كلّ إنسان. : "طوبى".

بالنسبة إلينا، نحن المسيحيّين، نكتشف **وجه الربّ يسوع** في الطوباويّات. كالأشعّة المنبعثة من قلب الله، يُضيء نور المسيح في الطوباويّات حياتنا. في الواقع، أليس يسوع هو نفسه صاحب القلب الوديع الذي بكى على البؤس البشريّ، والذي جاع وعطش إلى العدالة، وكان رحيمًا ولديه قلب نقيّ وعَمِل من أجل السلام في القلوب وفي العالم من خلال كشفه لحقيقة المحبّة ؟ أليس هو من تعرّض للاضطهاد والإهانة بسبب البرّ ؟ نعم، الدخول في سرّ الطوباويّات هو الدخول في سرّ الربّ يسوع. التأمّل في الطوباويّات هو تأمّل في وجه المسيح.

يترتّب على ذلك أنّنا **مدعوّون جميعًا**، كتلاميذ للمسيح، **لعيش الطوباويّات**. وهكذا نحيا في المسيح الذي يصبح سعيدًا فينا بقدر ما نتماهى مع الطوباويّات. بالتالي، سيكون من الممكن للمسيحيين أن يكونوا شهودًا للطوباويّات، كلٌّ على طريقته الخاصّة، ليحملوا إلى العالم وجه المسيح. أن نكون شهودًا للطوباويّات يعني أن نقول بوضوح إنّ المحبّة أقوى من الكراهية، وأنّ الثقة أكثر نبلاً من انعدام الثقة والغيرة وأنّ الرجاء هو البديل للبؤس واليأس الذين يولّدهما هذا العالم لأنّ الرجاء ينفتح على القيامة والعمل. لذلك، دعونا نجعل فرح الطوباويّات يتألّق على وجوهنا حتّى يؤمن العالم أنّ يسوع هو الذي يجلب الفرح الحقيقيّ في عالمٍ لا يكفّ عن طرح السؤال التالي : "من سوف يجعلنا نعاين الفرح ؟"

من دون أن أسعى لأطبّق بعجلة ما أوردته على فقيدنا، يمكنني أن أقول بشكلٍ عفويّ وانطلاقًا من معرفتي الشخصيّة بالأستاذ منير شمعون، على الرغم من أنّها معرفة نسبيّة، إنّ هذا الرجل كان، على طريقته، وبعلمه اللامع وحسّه المرهف، إنسانًا يعمل بذكاء وفطنة من أجل عيش روحانيّة الطوباويّات، من دون أن يدّعي لا الكمال ولا الثورة.

أودّ أن أذكر من حياته الغنيّة جدًّا أنّه كان تلميذًا في معهد الإخوة المريميين في دير القمر ثمّ في بيروت حيث تميّز في الدراسة وتبوّأ المرتبة الأولى في امتحانات الباكالوريا اللبنانيّة. دراساته الجامعيّة من أجل حيازة الإجازة في الفلسفة وعلم النفس في معهد الآداب الفرنسيّ كانت بالنسبة إليه لحظات من السعادة التي كان من شأنها أن تبني حياته كمتخرّج في علم النفس التطبيقيّ من "ليون" وحائز في ما بعد على الدكتوراه في علم النفس في العام ١٩٧٢. أسّس مكتبَي علم النفس في مدرستين خاصّتين في بيروت إبتداءً من العام ١٩٦٠، وأصبح بسرعة المربّي المشهود له بكفاءته والمعلّم الذي يُصغي إليه الآخرون ويصغي هو إلى الآخرين، في الفلسفة وعلم النفس والتحليل النفسيّ، ولكن أيضًا ضمن سلسلة لا نهاية لها من المقرّرات والمحاضرات والمؤتمرات التي استمرّت، حتّى منذ بضعة أشهر، تلبّي إحتياجات وتوقّعات جمهور كبير في المدارس والجامعة والجامعة للكلّ UPT، من الأمّ إلى الطالب ووصولاً بهؤلاء الطلاب الشباب الذين تواصل معهم، وما زلت أراه يتحاور معهم خلال أكثر من ساعتين في مدرسة سيّدة الجمهور منذ خمسة عشر عامًا. بالنسبة إلى منير شمعون، الإصغاء هو الشعور بالقلق والمعاناة الذين يعتريان قلب الآخر وهو أيضًا التحدّث والتفاعل مع هذا القلق أو الألم، والتعبير عن تضامنه مع من يعاني الألم باحترام وتعاطف دائمَين.

بالنسبة إلى جامعة القدّيس يوسف في بيروت، كان منير شمعون ذلك المناضل الذي أسّس، مع الأب عبو والأب شاموسي وعمر عضاضة، كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة في العام ١٩٧٧. وهكذا قام بإدارة قسم علم النفس من العام ١٩٧٧ وحتّى العام ١٩٩٦، فأوجد فيه، للمرّة الأولى في المنطقة، دبلوم الدراسات العليا المتخصّصة DESS في علم النفس السريريّ والمرضيّ ، ثمّ قسمًا للدكتوراه وفيه أشرف على العديد من الأطاريح. في العام ١٩٨٠، شارك في تأسيس الجمعيّة اللبنانيّة للتحليل النفسيّ (SLP)، وأسّس "الجامعة للكلّ" في العام ١٩٩٧، كما أنشأ في العام ١٩٩٩ دائرة الدراسات في التحليل النفسيّ وفي إطارها قام منذ العام ٢٠٠٠ بتنظيم مؤتمرات سنويّة شارك في إحيائها زملاء ناطقون باللّغة الفرنسيّة، وعلاوة على ذلك، قام بإدارة نيابة رئاسة الجامعة لشؤون البحث العلميّ خلال ١٥ سنة.

نحن نعلم أنّ منير شمعون لم يكن معلّمًا فحسب، فبالتالي أدّى دور المعلّم والمرافق والمرشد مع الطلاب. ولقد همس لي أحدهم أنّه كان **يتحمّل الطلاب ذات المزاج الصعب ويرافقهم بصبرٍ كبير**. كان يُشار إليه على

أنّه المعلّم اللّطيف، ويتمتّع بروح الدعابة، إلا أنّه كان متطلّبًا جدًّا على صعيد الدقّة ووضوح التعبير، مناضلاً من أجل الفرنكوفونيّة التي كانت واستمرّت بالنسبة إليه قيمة ثقافيّة تجعل من لبنان ما هو عليه، جوهرة تشعّ في عالمٍ مظلم. **وكان وقع المفاجأة كبيرًا عليّ حين اكتشفتُ في أحد الأيّام أنّه يُتقن اللّغة العربيّة وكان يحثّ زملاءه وطلاّبه أن يُلمّوا بهذه اللّغة.**

أجرؤ أيضًا على القول إنه كان دومًا على أتمّ الإستعداد وجاهزًا للاستجابة إلى نداء الأشخاص والجمعيّات والمدارس. كانت لديه دائمًا الرغبة في مواصلة مهامّه الدائمة كعمله الإداريّ في مجلّة « Travaux et jours »، ومتابعة خدمة المساعدة النفسيّة إلى الطلاب وإشرافه على أطروحات وإعطاء مقرّراته في "الجامعة للكلّ" UPT. في الواقع، لقد علّمنا كيف يموت واقفًا ومعلّمًا موجّهًا للوعي الدائم الذي يستمدّ قوتّه من حاضره ومستقبله، كما علّمنا بأنّ الفرح يكمن في أن نهب ذاتنا إلى الآخرين وإلى المجتمع بقدر المستطاع، ودائمًا وفقًا لشريعة الطوباويّات.

لا أريد أن أتحدّث عمّا أنجزه كنائب لرئيس الجامعة لشؤون البحث العلميّ، هذا المجال المبتكر بالنسبة إلى جامعة القدّيس يوسف، معلنًا عن نفسه، كونه أستاذ منير، "الميسّر" للجميع ولكلّ ما يسبغ على مهنة التعليم ألقابها النبيلة.

لإنهاء هذا العرض الإستعاديّ المستمدّ من صميم الطوباويّات، أودّ أن أعطي إلى السيّد منير شمعون، من باب الواجب، الحق في التكلّم معنا مقتبسين منه بعض الجمل التي تكشف لنا عن شخصيّته الغنيّة المميّزة جدًّا :

في أطروحته "المعتقدات الخرافيّة في لبنان" التي نُشِرَت في العام ١٩٧٣ في دار المشرق ("المعتقدات الخرافيّة في لبنان"، ص ٢٤٥)، يقول : "الايمان الحقيقيّ يجمع ويوحّد ويحرّر : الاعتقاد بالخرافات يفرّق، ويدفع إلى الانكفاء على الذات ويكبّل الحريّة". وهكذا، كان يدعو إلى هذا الايمان الحقيقيّ القائم على الثقة بالله الذي خلق الإنسان كمشروع حريّة".

تناول منير شمعون المواطنة المدنيّة. في إحدى مقالاته في المجلّة الأكاديميّة "حوليّات علم النفس" (١٩٩١–١٩٩٢) الذي يحمل عنوان "**رهانٌ قيد الإنجاز : إستعادة المواطنة**" يؤكّد شمعون على احترام القيم مثل التعايش والضيافة والحسّ العائليّ، والشعور بالتكيّف، والشعور بالإنسان. ويُنهي مقاله بالقول : "إنّ فعل الإيمان الذي أدعو إليه هو الدافع الأوّل لخلق حركة إبداعيّة ذاتيّة للوعي الجديد، وهو عملٌ تأسيسيّ لذهنيّة مبتكرة قادرة على القيام بمتغيّرات متسلسلة. في هذا العمل الحسّاس، يتحمّل الشخص البالغ، سواء كان معلّمًا أو والدًا أو رجلاً سياسيًّا، مسؤوليّة جسيمة : **فإليه تؤول المهمّة الشاقّة التي تكمن في تضميد جروحات ماضٍ مؤلم وصادم وفي المقابل وضع أسس تربية قائمة على العبور من الموت إلى الحياة ... من الملحّ الكفّ عن تربية شباب اليوم مع أفكار الأمس.**" **ص ١٢١.**

كيف لا أتوقّف أخيرًا، ولو لثوانٍ، عند تأمّله الأخير الوارد في عشر صفحات والذي نُشِر في العدد الأخير من مجلّة *Travaux et jours* الذي صدر منذ أسبوعين، حول رسالة قداسة البابا فرانسوا لوداتو François Laudato حول البيئة (صص ١٦١–١٦٩). يبدو منير شمعون حليفًا بلا منازع للبابا حين يرى في فكره ليس مجرّد بيئة ماديّة ومناخيّة فحسب، بل نداءً ملحًّا لجعل كلّ سكّان الأرض ينضمّون معًا في إنقاذ الأرض، مقرّنا المشترك. فلأنّ المكان مشترك، نحن جميعًا متضامنون في تحمّل المسروليّة تجاهه. البيئة في الأساس مسألة دائمة الطرح ومتكاملة. فالمسألة تتعلّق بالكائن البشريّ كلّه، جسدًا، نفسًا وروحًا. ويقول منير شمعون : "لهذا السبب لا يمكن لنداء قداسة البابا أن يُسمَع إلا من قِبَل أولئك الذين يولون أهميّة قصوى للقيم التي تشكّل العمود الفقريّ لحضارتنا المعاصرة"، والأولى أن يكون المسيحيّون هم من يسمعون هذا النداء.

منير شمعون، ذاك الذي عاش التطويبات، غادر مع وصيّة عَهِد بها إلى كلّ واحد منّا : أن نكون نحن أنفسنا شهودًا على القيم الإنسانيّة والإنجيليّة.

فلتسترح نفسه بسلام. آمين.